خلاص النفس

الجزء الثالث

الذهن المخلَّص — مفتاح البركة والازدهار في المسيح

الروح القدس يُعلن للمؤمنين أن أهم هدف في هذه الحياة هو الحصول على خلاص النفس — أي أن يرى الرب شخصيته فيك. تمامًا كما يحتاج الحاسوب إلى تغيير لوحة المعلومات الرئيسية (motherboard) حين يصبح أداؤه متعطلًا، كذلك النفس البشرية: إن لم يتجدد الذهن فسيقود النفسَ كلها — الإرادةَ والمشاعرَ والجسدَ — إلى مصائب لا حصر لها.

الله خلقنا على صورته. وصورته تعني أنه يُفكّر وينطق — وما ينطق به يكون. هذه الحقيقة ليست مجرد لاهوت نظري، بل هي مبدأ يعمل في حياتنا كل يوم:

لوقا ٦: ٤٥

> اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ.

لاحظ الناس من حولك: من يعيش في الخوف يتنبأ دائمًا بالأسوأ — يتكلم عما سيحدث له نتيجة ذلك الخوف، فيُحقّق بفمه ما يخشاه بقلبه. والكلمة تؤكد هذا المبدأ:

أمثال ٢٣: ٧

> لأَنَّهُ كَمَا شَعَرَ فِي نَفْسِهِ هَكَذَا هُوَ.

هذا هو العقل الذي خلقه الرب فيك: لتخلق مستقبلك بما تؤمن به وتنطق به. وحين جاء يسوع إلى الأرض أعلن: «جئت لأُتمّم ما كُتب عني في درج الكتاب.» كل نبوة قيلت عنه جاء ليُنفّذها على الأرض. وهكذا أنت — جاءت البركة من السماء لتأخذها أنت وتُحقّقها في أرضيات حياتك.

أولًا: معنى كلمة «سويتيريا» — الخلاص الكامل

كلمة «خلاص» (سويتيريا) باليونانية أوسع بكثير مما نتصوره. إنها لا تعني فقط الخلاص من الخطية — بل تحمل هذه المعاني مجتمعة:

١. الشفاء الجسدي والنفسي
٢. التحرير من كل قيد
٣. حياة مستقرة آمنة
٤. الخلاص من الشر والظلام
٥. الخلاص من الغضب الآتي
٦. تسديد كل احتياج بغنى ووفرة

حين تدخل الصلاة، أنت لا تتسوّل من الله — أنت تأخذ ما خُزّن لك مسبقًا في السماويات. والله بارك المؤمنين بكل بركة روحية في السماويات في المسيح:

أفسس ١: ٣
> مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ.

مثال: الأمر يشبه الذهاب إلى متجر IKEA لشراء طاولة. لن تجلس وتنتظر أن تأتيك الطاولة وحدها. بل تنظر إلى الكتالوج، تجد الكود، تنزل إلى المخزن، وتأخذها بيدك. هكذا الصلاة: تدخل، ترى ما خُصّص لك، وتأخذه بإيمانك إلى الأرض.

ثانيًا: خوذة الخلاص — درع الذهن المخلَّص

لكي تأخذ هذه البركات وتُحقّقها في حياتك، يجب أن تلبس خوذة الخلاص. وخوذة الخلاص معناها عملي جدًا: ذهن ممتلئ بالمعاني الستة للسويتيريا — لا مجال فيه لفكرة خاطئة، لأن كل زاوية من زوايا ذهنك مشغولة بأفكار الله لك.

ذهنك هو مفتاح بركتك. إن امتلأ بكلمة الله، ستختبر كل ما لك في المسيح. وإن ملأه القلق، أنتج القلق مزيدًا من المشاكل والأمراض.

والمسيح نفسه وضّح هذا المبدأ بشكل لافت حين تحدث مع المرأة السامرية:

يوحنا ٤: ١٠
> أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ ٱللهِ، وَمَنْ هُوَ ٱلَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا.

يسوع يقول لها — ويقول لنا: «لو عرفت ما عندي لطلبت أكثر، وكنت أنت ابتدأت بالطلب.» كثيرًا ما لا نصلّي لأننا لا نعرف الرب جيدًا ولا ندرك ما يمكن أن يصنعه. والروح القدس في داخلنا يقول: «غذِّ نفسك بالكلمة، لأني أريد أن أقودك لتعمل أشياء عظيمة — لكني لا أستطيع العمل من خلالك بدون أن تتغذى على الكلمة.»

يوحنا ١٦: ١٣

> وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ.

الروح القدس في داخلك يريد أن تكون مستقرًا وثابتًا وعايشًا في أمان — لا كالأفعوانية في صعود ونزول طول الحياة. إنه يريد أن يدفعك كل يوم لتكون عطشانًا ومشتاقًا للجلوس في حضرة الرب، حتى يصبح ذلك الوقت هو أجمل وقت في يومك.

المفتاح لهذا الاشتياق هو أن تُدرك ما فعله يسوع من أجلك — ليس فقط الموت الجسدي على الصليب، بل ما هو أبعد:

> **الحقيقة الكاملة:** نزل يسوع كواحد من الخطاة إلى الهاوية، وعُومل كإنسان خاطئ لكي يفديك أنت. دخل في معركة مع لوسيفر نفسه وهزمه، وفتح الباب، وخرج حاملًا الذين كانوا في حضن إبراهيم وصعد بهم إلى السماء.

رؤيا يوحنا ١: ١٨

> وَٱلْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ ٱلْهَاوِيَةِ وَٱلْمَوْتِ.

حين تفهم هذا، تغير وقوفك في الصلاة. أنت لا تتوسل وتطلب من مُحتاج — أنت تستقبل من ملك منتصر يريد أن يُعطيك ما أعدّه لك.

ثالثًا: القلق المادي والذهن المخلَّص

واحد من أهم ثمار خوذة الخلاص — وأكثرها تأثيرًا في الحياة اليومية — هو تحرّر الذهن من قيد القلق المادي. لأن واقع أكثر من ٩٩٪ من البشر أن الجزء الأكبر من تفكيرهم وقلقهم مكرّس للمال: كيف أُحصّله، كيف أُدبّره، كيف أسدّد فواتيري.

> **القلق لا يحل أي مشكلة — بل يُكبّرها ويُمرّض الجسد. الكتاب المقدس يعلّم طريقة مختلفة تمامًا.**

الأساس اللاهوتي لهذا التحرر هو ما فعله المسيح على الصليب في بُعده المادي:

كورنثوس الثانية ٨: ٩

> فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ ٱفْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.

هذا الإصحاح بأكمله يتحدث عن العطاء المادي. والمسيح حمل اللعنة عنا وهو على الصليب — عاريًا تمامًا، وهو رمز لإدانة الخاطئ وحمل لعنة الفقر والعوز على جسده. افتقر ماديًا لكي نصبح نحن أغنياء. هذه ليست استعارة — هذا عهد.

ولهذا، حين يكون في جيبك خمسة دولارات فقط ولا تعرف ماذا سيحدث غدًا، يُفترض بذهن المؤمن المخلَّص أن يكون متيقّنًا بنسبة ١٠٠٪ أن الرب سيُسدّد كل عوز واحتياج بغنى ووفرة — وأن يذهب إلى النوم مطمئنًا وأن يصحو ليرى يد الله قد عملت.

> **اعتراض شائع:** هل الرب سيُمطر عليك بالأموال؟ الجواب البسيط: نعم — فعل هذا في العهد القديم بالمن والسلوى، وهو نفسه أمس واليوم وإلى الأبد. المبدأ لم يتغير، فقط طريقة التسليم تتغير.

مزمور ٣٤: ١٠

> اَلأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ، وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلَا يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ.

هل تعرف أن لديك أبًا مُعتنيًا بك؟ هل تعرف أن لك أبًا افتقر لكي يُسدّد احتياجاتك؟ الطريقة الصحيحة للتفكير هي أن تترك كل شيء على الرب — لأن بدون هذه الطريقة، القلق في ذهنك سيُنتج مشاكل أكثر وأمراضًا أكبر. أما الذهن الذي يُلقي همّه على الرب فيبقى حرًّا وعاملًا.

مزمور ٥٥: ٢٢

> أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لَا يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ.

> **تطبيق عملي:** إن كنت بحاجة إلى عمل، افعل ما عليك — وزّع سيرتك الذاتية وابحث بجدية — ثم أعلن إيمانك أن الرب سيُسدّد. وتوقّع الأفضل، لأن أباك السماوي يريد أن يُعطيك الأفضل — هذه كانت خطته من البداية.

رابعًا: هل كان يسوع فقيرًا؟ — تصحيح مفهوم خاطئ

يشيع في بعض الأوساط تصوير يسوع على أنه كان فقيرًا معدمًا. لكن الكتاب المقدس يُقدّم لنا صورة مختلفة:

> **السبب الأول:** والده يوسف كان يملك شركة مقاولات للبناء — مهنة راسخة كانت تُؤمّن دخلًا جيدًا للعائلة.
>
> **السبب الثاني:** يسوع ترك أمه وإخوته واستقر في الناصرة في بيت مملوك له شخصيًا بحسب المواريث اليهودية — ولا يملك بيتًا إلا من كان ذا ثروة أو ميراث.
>
> **السبب الثالث:** حين دعا يسوع تلاميذه سألوه «أين تمكث؟» فأجاب «تعالوا وانظروا» — فذهبوا وأكلوا عنده وجلسوا طول اليوم. ومرة أخرى حين كان في بيته والتفّ الناس حوله، دعاهم إلى الداخل جميعًا — وعندها جاء الأربعة أصدقاء بالمفلوج ونقّبوا سقف بيته لإنزاله. لم يكن أي إنسان ليقبل بتنقيب سقف بيته سوى من يحب الناس حبًّا يفوق حبّه لممتلكاته.
>
> **السبب الرابع:** بحسب الشريعة اليهودية، كل من يحفظ كلام الرب ويطبّقه يباركه الرب بالبركات المذكورة في سفر التثنية — وأكثر إنسان طبّق الكلمة في التاريخ هو يسوع المسيح نفسه.

تثنية ٢٨: ١-١٤

> وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لِصَوْتِ ٱلرَّبِّ إِلَهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ... يَجْعَلُكَ ٱلرَّبُّ إِلَهُكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ ٱلْأَرْضِ... يَفْتَحُ لَكَ ٱلرَّبُّ كَنْزَهُ ٱلصَّالِحَ، ٱلسَّمَاءَ، لِيُعْطِيَ مَطَرَ أَرْضِكَ فِي حِينِهِ... وَيَجْعَلُكَ ٱلرَّبُّ رَأْسًا لَا ذَنَبًا، وَتَكُونُ فِي ٱلِارْتِفَاعِ فَقَطْ وَلَا تَكُونُ فِي ٱلِانْحِطَاطِ.

وكان ليسوع صندوق خاص للخدمة. وحين أرسل تلاميذه قال لهم: «حين أرسلتكم للخدمة هل اعوزكم شيء؟» — رغم أن يهوذا الإسخريوطي كان يسرق منه دائمًا، إلا أن الصندوق كان دائمًا مليئًا، لأن الرب هو من يُعطي.

خامسًا: الذهن المتجذّر في الكلمة — مصدر الازدهار الشامل

خلاص النفس لا يُنتج فقط راحة داخلية — بل ينتج ازدهارًا حقيقيًا في كل جانب من جوانب الحياة. وهذا ما يُعلنه الكتاب المقدس في أول مزمور:

مزمور ١: ١-٤، ٦

> طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ ٱلْأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ ٱلْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لَكِنْ فِي نَامُوسِ ٱلرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا. فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي ٱلْمِيَاهِ، ٱلَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لَا يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ. لَيْسَ كَذَلِكَ ٱلْأَشْرَارُ، لَكِنَّهُمْ كَٱلْعُصَافَةِ ٱلَّتِي تُذَرِّيهَا ٱلرِّيحُ. لِأَنَّ ٱلرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ ٱلْأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقُ ٱلْأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ.

الشجرة المغروسة عند مجاري المياه لا تحتاج أن تقلق على المطر أو الجفاف — لأن جذورها وصلت إلى المصدر. وهكذا المؤمن الذي يلهج في كلمة الرب نهارًا وليلًا: جذور ذهنه وصلت إلى منبع الحياة، فثمره يأتي في أوانه وورقه لا يذبل — وكل ما يصنعه ينجح.

> **خطة الله أن تكون مُزدهرًا في كل جوانب حياتك — روحيًا وعقليًا وماديًا وعائليًا. هذه ليست رغبة بشرية، بل إرادة إلهية صريحة.**

أمثال ١٤: ٣٤

> اَلْبِرُّ يَرْفَعُ شَأْنَ ٱلْأُمَّةِ، وَعَارُ ٱلشُّعُوبِ ٱلْخَطِيَّةُ.

البر — الحياة المستقيمة المبنية على كلمة الله — لا يرفع الفرد وحده، بل يرفع الأمة بأسرها. وعكسه صحيح تمامًا. فخلاص نفسك ليس مسألة شخصية فقط — إنه مساهمة في إصلاح كل من حولك.

خلاصة: الذهن المخلَّص يُغيّر كل شيء

حين يُخلَّص ذهنك — حين يمتلئ بأفكار الله لك في كل المعاني الستة للسويتيريا — يتغير كل شيء:

- **تتغير صلاتك:** من تسوّل إلى استقبال — لأنك تعرف ما أعدّه الله لك.
- **يتغير إيمانك:** من القلق إلى اليقين — لأنك تعرف الأب الذي يُعيلك.
- **يتغير مستقبلك:** من الخوف إلى التوقع — لأن فمك ينطق بما يملأ قلبك، وما ينطق به يكون.
- **تتغير حياتك كلها:** من التذبذب إلى الثبات — لأن الروح القدس يقودك يومًا بيوم نحو كل ما أعدّه لك.

ذهنك هو مفتاح بركتك.
ملأه بكلمة الله — وتختبر كل ما لك في المسيح.